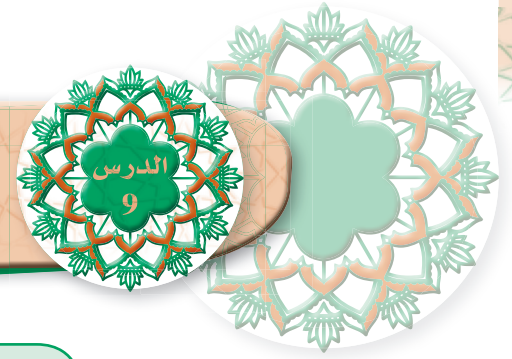


أبو علي ابن سينا



أهداف الدرس

1. أن أتعرف شخصية أبي علي ابن سينا وسيرته العلمية؛
2. أن أثبت أثره في الدرس الفلسفي الإسلامي؛
3. أن أتمثل آلياته في الاقناع ، وأسلوبه في الاستمالة والتأثير .

تمهيد

بعد الحديث عن أبي نصر الفارابي وإسهامه في الدرس الفلسفي الإسلامي يجدر بنا أن نقف على واحد من أهم أعلام الفلاسفة المسلمين حتى لقب بالشيخ الرئيس إنه أبو علي ابن سينا .
فمن هو أبو علي ابن سينا؟ وما مسيرته العلمية؟ وما أثره في الدرس الفلسفي الإسلامي؟

نص الانطلاق

1. قال أبو علي بن سينا: «إن في كل صناعة فاعلا ومنفعلا، وذلك لأن كل ما هو موجود لا يخلو من أن يكون مؤثرا أو متأثرا، فالصانع هو الفاعل الذي يمنح الصورة للمادة، والمادة هي المنفعل الذي يقبل تلك الصورة وهذا لا يقتصر على الصناعات اليدوية فحسب، بل يمتد ليشمل كل موجود في الكون، فالله سبحانه وتعالى هو الفاعل الأول، والمحرك الذي لا يتحرك، وكل ما سواه منفعل عنه. ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم النظام والترتيب، الذي يسود الوجود، فكل حركة محرك، ولكل تأثير مؤثر، وهذا هو سر التكوين والايجاد».

[كتاب الشفاء- الإلهيات-، ص296]

2. وقال أيضا: «وبئس ما ظنَّ مَنْ ظنَّ أن القياس الجدلي هو فعل يصدر عن السائل لا غير، كأنه لم يسمع المعلم الأول يقول في «أنولوجيا»: إن المجيب من المشهورات والسائل من المُتَسَلِّمات؛ بل المجيب إنما هو مجيب من حيث هو حافظ وضع، والسائل هو سائل من

حيث هو ناقض الوضع، فإذا قاس قانس على رأي هو وضع يحفظه كان مجيباً، وكان السائل حينئذ من يفسد عليه قياسه، ويقاوم مقدماته، وإذا قاس قانس على مقابل وضع بمقدمات يتسلمها من حافظ كان سائلاً، ولكل واحد منهما قياس». [كتاب الشفاء- الجد-، ص25]

الفهم

استخلاص المضامين:

- أستخلص من النصين منهج ابن سينا وأثره في الدرس الفلسفي.

الشرح:

- **الفاعل الأول:** هو الله سبحانه وتعالى.
- **الإلزام:** الإفحام وإسكات الخصم بالحجة، وعجزه عن ردها بحجة أخرى.
- **الجدل:** المناظرة بين طرفين، ومقابلة الحجة بالحجة إلى انقطاع أحدهما وعجزه.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: أبو علي ابن سينا: حياته ومراحل تفكيره

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس؛ لقب بذلك بسبب الوزارة التي شغلها، أو بسبب رئاسته على الأطباء، ولد بأفشنة من قرى بخارى (سنة 370هـ-980م)، وكان أبوه من بلدة بلخ، نشأ في بيت عريق في خدمة الدولة؛ إذ كان أبوه والياً على سامان، تعهده أبوه بالتعليم والتثقيف، وأحاطه بالأساتذة والمربين، يعلمونه معارف أهل زمانه، أتم الأدب واللغة، وتعلم القرآن، وهو في سن العاشرة [وفيات الاعيان لابن خلكان 157/2 بتصرف]، يذكر القفطي أن «ابن سينا قرأ، وقرأ كثيراً، قرأ كل ثمار الثقافة العربية والفارسية الهامة التي عرفت في عصره، وما أكثرها: فجاء نسيج وحده، وصنيع درسه وتأمله، وقد توفرت له أسباب القراءة في العشرين سنة الأولى من حياته: كفه فيها أبوه ووقاه مؤنة الكسب وطلب العيش، فتفرغ للبحث، والدرس في ذكاء نادر، وذاكرة عجيبة، وولوع بالقراءة

وسرعة فيها مدهشة، فما كان ينام من الليل إلا أقله، ولا يشتغل بالنهار بغير العلم والقراءة»
[تاريخ الحكماء للقفطي، ص515].

يقول إبراهيم مذكور: «نشأ نشأة دينية...، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم شيئاً من علوم الفقه واللغة في سن مبكرة، وبعد العاشرة أخذ يتزود من العلوم العقلية كالحساب والهندسة والمنطق والفلسفة ولم يعرض للطب إلا في سن السادسة عشرة. وما إن بلغ الحادية والعشرين حتى بدأ يكتب ويؤلف». [مقدمة كتاب الشفاء ص6]

ابن سينا عالم وطبيب وفيلسوف مسلم، يعد أحد أهم المفكرين الموسوعيين في العصور الوسطى، والمرجع الأساس للكثير من العلوم لعدة قرون، نشأ وتعلم في بخارى، ونبع في العديد من العلوم والمعارف، واتسعت شهرته، فكان طبيباً بارعاً، وفيلسوفاً مقتدرًا، وشخصية مبرزة في السياسية؛ حيث تقلد مناصب وزارية، استهوته دراسة الفلسفة، فأنصرف إليها سنتين باحثاً مستقصياً، يدرس ويحاور، ويتلقى ويستوعب، يحزه الظمأ الوامق، ليكرع لبن المعرفة من مواردها الصافية، ومنابعها الصحيحة، اتسمت هذه المرحلة بالإقبال على مناهل العلم والحكمة والبيان. [خطاب الفلسفة العربية والإسلامية، ص188 بتصرف]

تأثر ابن سينا بوفاة أبيه، فغادر بخارى إلى جرجان؛ حيث تتلمذ عليه أحد مريديه، وهو عبد الله الجرجاني الذي اصطحبه ابن سينا طوال حياته، وأملى عليه جزءاً من سيرته، توفي ابن سينا سنة (438هـ - 2037م)، تاركاً أثراً خالداً في الفكر والمعرفة، من مؤلفاته: كتاب القانون في الطب - النجاة - تسع رسائل في الفلسفة والعلوم - الاشارات والتنبيهات - رسالة حي بن يقظان - الشفاء الذي قال عنه إبراهيم مذكور «ليس بغريب أن يسمي طبيب أحد مؤلفاته «الشفاء» إنما الغريب أن يطلق هذا الاسم على مؤلف فلسفي، بينما يختار لأعظم كتبه الطبية اسم «القانون» [مقدمة كتاب الشفاء، ص2]

المسألة الثانية: أثره في الدرس الفلسفي الإسلامي

ابن سينا فيلسوف يؤمن بالعقل من حيث بنيته ووظيفته، وبالفلسفة من حيث موضوعها ومفاهيمها وقضاياها؛ من أهم كتبه الفلسفية التي بسط فيها فكره الفلسفي كتاب الشفاء الذي يقول عنه: «إن غرضنا منه أن نودعه لباب ما تحققنا من الأصول في العلوم العقلية المنسوبة إلى الأقدمين، المبنية على النظر المرتب المحقق، والأصول المستنبطة بالأفهام، المتعاونة على إدراك الحق المجتهد، وتحريته أن أودعه أكثر الصناعة» [كتاب الشفاء، ص10]؛ سلك ابن سينا في إثبات وجود الله طريق القسمة العقلية: إلى الواجب والممكن؛ أي واجب الوجود، وممكن الوجود، فقد قال في

جزء الإلهيات من كتابه الشفاء: «الفصل السادس من المقالة الأولى في ابتداء القول في الواجب الوجود والممكن الوجود، وأن الواجب الوجود لا علة له، وأن الممكن الوجود معلول، وأن الواجب الوجود غير مكافئ لغيره في الوجود، ولا متعلق بغيره فيه» [كتاب الشفاء- الإلهيات-، ص49] فكتاب الشفاء يعد سفراً شاملاً لعدة علوم؛ فهو ينقسم إلى أربع جمل رئيسية: المنطق، والطبيعيات، والرياضيات، والإلهيات، وتحت كل جملة فنون، وكل فن مقالات، وكل مقالة فصول، هذا هو تقسيم الكتاب في عمومه، أما من حيث تفصيله فهو يشتمل على علوم متعددة؛ فتحت المنطق الخطابة والشعر. وتحت الطبيعيات فإلى جانب قوانين الحركة والتغير مواد متباينة أخصها علم النفس، والحيوان، والنبات، والجيولوجيا. وتحت الرياضيات الهندسة، والحساب، والموسيقى، وعلم الهيئة. [كتاب الشفاء- المدخل-، ص11 بتصرف]

فمحور الإلهيات باعتباره مبحثاً عقدياً صرفاً يرتبط بالألوهية والنبوة والمعاد، وهي قضايا عقدية كبرى، كانت مثار نقاش بين الفلاسفة المسلمين، ومدار خلاف بينهم في ضبط المفاهيم، وبيان القضايا، وتجديد النظر في مداخل العلوم ومقاصدها الأساس مفهوم وإجراء. يقول ابن سينا: «إن في كل صناعة فاعلاً ومنفعلاً، وذلك لأن كل ما هو موجود لا يخلو من أن يكون مؤثراً أو متأثراً، فالصانع هو الفاعل الذي يمنح الصورة للمادة، والمادة هي المنفعل الذي يقبل تلك الصورة، وهذا لا يقتصر على الصناعات اليدوية فحسب، بل يمتد ليشمل كل موجود في الكون، فالله سبحانه وتعالى هو الفاعل الأول، والمحرك الذي لا يتحرك، وكل ما سواه منفعل عنه» [كتاب الشفاء- الإلهيات-، ص296] من خلال هذا النص يتحدث ابن سينا عن إثبات الحكمة الإلهية في وجود هذه الموجودات، وأنها وجدت على أكمل ما يمكن أن يكون، ولو كان في الإمكان وجودها على أكمل مما هي عليه لما وجدت على غيره، فحكمة الله بالغة تقتضي الخلق والتقدير، والنظام والتدبير، والتمكين والتسخير في عالم الكون والإنسان والوجود.

إن ثمرة الحكمة- الفلسفة- هي بيان الحقيقة المثلى استناداً إلى أقوى الحجج، وأصح البراهين، انطلاقاً من القياس الصحيح، والجدل المقتنع، المدافع عن جوهر الحقيقة، يقول ابن سينا: «وبئس ما ظنَّ مَنْ ظَنَّ أن القياس الجدلي هو فعل يصدر عن السائل لا غير، كأنه لم يسمع المعلم الأول يقول في «أنولوجيا»: إن المجيب من المشهورات والسائل من المتسلّمات؛ بل المجيب إنما هو مجيب من حيث هو حافظ وضع، والسائل هو سائل من حيث هو ناقض الوضع، فإذا قاس قاييس على رأي هو وضع يحفظه كان مجيباً، وكان السائل حينئذ من يفسد عليه قياسه، ويقاوم مقدماته، وإذا قاس قاييس على مقابل وضع بمقدمات يتسلمها من حافظ كان سائلاً، ولكل واحد منهما قياس» [كتاب الشفاء- الجدل-، ص25] فصناعة الجدل ملكة يصدر عنها تأليف القياس، أو الاستقراء الجدلي

قصد الاقناع والالزام، ولا يتم القياس الجدلي -كما في نص ابن سينا- إلا بطرفين: السائل والمجيب؛ فوظيفة السائل أنه ناقض وضع، ووظيفة المجيب أنه حافظ وضع؛ لأن المجيب يقيس من المشهورات، والسائل من المتسلّمات، فإذا قاس قانس على رأي هو وضع يحفظه كان مجيباً، وإذا قاس قانس على مقابل وضع كان سائلاً.

التقويم

1. أعرف بشخصية ابن سينا، وأذكر معالم تفكيره الفلسفي؛
2. أحدد منهج ابن سينا في تشكيل العقل الإسلامي لتأسيس الدرس الفلسفي؛
3. أبين طبيعة تفكير ابن سينا في مناقشة القضايا العقدية الكبرى.

الاستثمار

يقول ابن سينا: «إن واجب الوجود بذاته لا علة له، وأن الممكن الوجود بذاته له علة، وإن واجب الوجود بذاته الواجب الوجود من جميع جهاته، وإن الواجب الوجود لا يمكن أن يكون وجوده مكافئاً لوجود الآخر، فيكون كل واحد منهما مساوياً للآخر في وجوب الوجود ويتلازمان، وأن الواجب الوجود لا يجوز أن يجتمع وجوده عن الكثرة البتة. وأن واجب الوجود أن تكون الحقيقة التي له مشتركاً فيها بوجه من الوجوه، حتى يلزم من تصحيحنا ذلك، وأن يكون واجب الوجود غير مضاف، ولا متغير، ولا متكثر، ولا مشارك في وجوده الذي يخصه». [كتاب الشفا- الإلهيات-، ص 49-50]

أبرز من خلال النص حقيقة واجب الوجود في تسيير نظام الوجود وتدبير شأنه.

الإعداد القبلي

يقول الدكتور عبد الحميد الخطاب: «إن الغزالي رجل يحقق في كل مجهول، ويدقق في كل مفهوم، ويفيد في كل معلوم، ويجيد في كل معقول». [الغزالي بين الدين والفلسفة، ص: 540]

أناقش هذا الكلام عن الإمام أبي حامد الغزالي، وأبحث عن مصنفاته ومنهجه في الدرس الفلسفي الإسلامي.